

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [التَّحَلُّل: 89]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تعذيب
الكافرين في
الآخرة مُستحقٌّ
بشهادة
الشهداء

بعد أن حذّر من ذلك اليوم، خاطب النبي ﷺ مُكرّراً "التَّحذِيرِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى وَجْهِ يَزِيدُ عَلَى مَا أَفْهَمْتَهُ الْآيَةُ السَّالِفَةُ، وَهُوَ أَنَّ الشَّهَادَةَ تَقَعُ عَلَى الْأَمَمِ لَا لَهُمْ، وَتَكُونُ بِحَضْرَتِهِمْ" (1)، فَلَمَّا ذَكَرَ الْكَافِرِينَ وَالِدَعَاةَ إِلَى الْكُفْرِ: أَتْبَعَهُ بِأَنَّ الْحِسَابَ يَوْمَ الْبَعْثِ مُحَقَّقٌ مُّوَكَّدٌ بَحِث لَا يَفْرُونَ مِنَ الْحِجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ إِنَّ عَلَيْهِمْ شُهَدَاءَ مِنْ أَنفُسِهِمْ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَبَيَّنَّا﴾: أَصْلُ الْبَاءِ وَالْيَاءِ وَالنُّونِ دَالٌّ عَلَى انْكِشَافِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ الْبَيِّنَةُ: الْأَمْرُ الْوَاضِحُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: 57]؛ أَي: أَنَا عَلَى أَمْرٍ وَاضِحٍ ظَاهِرٍ، وَالْبَيَانُ: التَّوْضِيحُ وَالْكَشْفُ، يُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ: إِذَا اتَّضَحَ وَانْكَشَفَ (2)، وَسُمِّيَ الْكَلَامُ بَيَانًا؛ لِكَشْفِهِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ إِظْهَارَهُ، نَحْوُ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138]، وَسُمِّيَ مَا يُشْرَحُ بِهِ الْمُجْمَلُ وَالْمُبْهَمُ مِنَ الْكَلَامِ بَيَانًا، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19]، وَيُقَالُ: بَيَّنْتُهُ وَأَبْنَيْتُهُ: إِذَا جَعَلْتَهُ لِي بَيَانًا يَكْشِفُهُ (3)، وَالتَّبْيَانُ: مَصْدَرٌ دَالٌّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَصْدَرِيَّةِ، وَلَا يَوْجَدُ مَصْدَرٌ بوزن (تِفْعَالٍ) - بِكسرِ التَّاءِ - إِلَّا تَبْيَانٌ بِمَعْنَى الْبَيَانِ كَمَا هُنَا، وَتِلْقَاءُ، وَزَادَ بَعْضُ الصَّرَفِيِّينَ: التَّضَالُ (4)،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 232 / 11.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).

(3) الزَّاعِب، المفردات: (بان).

(4) الحملاني، شذا العرف في فن الصرف، ص: 60.

والمقصود بالتبيين في الآية: المبالغة في الظهور والوضوح، والمراد به: بيانٌ بليغٌ شاملٌ على سبيل الإجمالِ تارةً، وعلى سبيل التفصيلِ تارةً أخرى⁽¹⁾.

(2) ﴿وَبَشِّرِ﴾: أصلُ الباءِ والشَّينِ والراءِ يدلُّ على ظُهورِ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فالبَشَرَةُ: ظاهرٌ جلدِ الإنسانِ، ومنه: بَشَرُ الرَّجُلِ المَرَأَةِ، وذلك إفضاؤُهُ ببَشَرَتِهِ إلى بَشَرَتِهَا، وَسَمِيَ البَشَرُ بَشَرًا لِظُهورِهِم، والبَشِيرُ: الحَسَنُ الوَجْهِ⁽²⁾، والبَشَرُ، بالكسر: الطَّلَاقَةُ والبَشَاشَةُ وَبَسَطَ الوجهَ⁽³⁾، والبَشَرَى: الخبرُ الَّذِي يُغَيِّرُ البَشَرَةَ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ، ثُمَّ خَصَّ فِي عُرْفِ اللُّغَةِ بالسُّرُورِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بالخبرِ الأوَّلِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلِمٍ حَلِيمٍ﴾⁽⁴⁾ [الصفّات: 101]، فيُقَالُ: أَبَشَرْتُ الرَّجُلَ وَبَشَرْتُهُ؛ أَي: أَخْبَرْتَهُ بِأَمْرٍ سَارٍّ⁽⁵⁾، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مِنَ البَشَرِ وَهُوَ السُّرُورُ؛ لِأَنَّهَا تُظْهِرُ طَلَاقَةَ وَجْهِ الإنسانِ وَفَرَحَهُ، والمقصودُ بالبَشَرَى في الآية: خَبَرٌ بِحصولِ ما فِيهِ نَفْعٌ وَمَسْرَّةٌ لِلْمُخْبَرِ بِهِ.

❖ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

أَكَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرَ الْبَعْثِ، وَأَنَّهُ آتٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَقَالَ تَعَالَى: وَادْكُرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهُوَ لَه، يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا كُلِّ أُمَّةٍ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ، فَيَكُونُ أَقْطَعُ لِلْمَعْذَرَةِ، وَأُظْهِرَ فِي إِتِمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَجِئْنَا بِكَ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مُبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى بَيَانِهِ، مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ هَادِيًّا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَرَحْمَةً

كُلُّ نَبِيٍّ شَاهِدٌ
عَلَى أُمَّتِهِ،
وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ
مَجَالٌ لِدَعْتَارِ
وَالدَّفَاعِ عَنِ
النَّفْسِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 253، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 218.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي للوصل: (بشر).

(4) النَوَوِي، تحرير أَلْفَاظِ التَّنْبِيهِ، ص: 267، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 184.

(5) ابن الأنباري، الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ: 2/ 128، والغوثي، الإبانة في اللغة العربية: 2/ 280.

في الدنيا والآخرة، ومُبَشِّرًا بِالْخَيْرِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُتَقَاتِلِينَ لِحُكْمِهِ، الْخَاضِعِينَ لَهُ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة العطف بالواو:

عطف النظم الجليل الجملة في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالواو؛ لأنها دالة على المغايرة، فلما كان في العبارة تكرار، غير أنها مُتَضَمِّنَةٌ ما يجعلها مغايرة لسابقتها، وذلك لأنَّ فيها زيادة الوصف بقوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وبهذا قد حصل التغاير بين الجملتين؛ فاقترضى ذلك العطف بالواو الدالة على المغايرة⁽²⁾.

سِرُّ التَّكْرَارِ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ بَعْثِ الشَّهَدَاءِ:

كَرَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ جُمْلَةً: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾؛ إذ قد ورد لفظها قَبْلَ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: 84]؛ تأكيداً للتهديد وتثنيةً له⁽³⁾، كما أنَّ فيه إيقاظاً وتنبيهاً للسَّامِعِ.

دلالة التَّعْبِيرِ عَنِ الْبَعْثِ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ:

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾؛ لَأَنَّ بَعْثَ الشَّهَدَاءِ لِلْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ إِنَّمَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ بَعْثٌ كَائِنٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الدَّالِّ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ⁽⁴⁾.

للمغايرة
بالأوصاف
تقتضي العطف
بالواو

تكرار التهديد
تأكيد لإيقاظ
وازع الإيمان

بعث الشهداء
إقناع يوم
القيامة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 333، والراغب، تفسير الراغب: 14/ 127، والسَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرِّحْمَنِ، ص: 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 254.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 250.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 135.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 251.

نَكَتَةُ الْعُدُولِ عَنْ (مِنْ) إِلَى (فِي):

عَدَى النَّظْمُ الْجَلِيلُ فَعَلَ الْبَعَثُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ بِحَرْفٍ الْجَرِّ (فِي)﴾، وقد كان عُدَى الْفِعْلُ نَفْسُهُ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بـ ﴿مِنْ﴾ [التحل: 84] فِي قَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [التحل: 84]؛ وذلك "لِيَحْصُلَ التَّفَنُّنُ بَيْنَ الْمُكَرَّرِينَ؛ تَجْدِيدًا لِنَشَاطِ السَّامِعِينَ"⁽¹⁾، كما أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالظَّرْفِيَّةِ هُنَا يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي التَّمَكُّنِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ مَبْعُوثٌ خِلَالَهُمْ لِلشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ عَاجِزُونَ فِي رَدِّ شَهَادَتِهِ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ يُدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ وَحُضُورِهِ فِيهِمْ.

البعثُ خِلالَهُمْ
يَدُلُّ عَلَى قُرْبِهِ
وَتَمَكُّنُهُ مِنْ
الشَّهَادَةِ لِلْكَيْنَةِ
عَلَيْهِمْ

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ (الشَّهِيدِ) مُنْكَرًا:

آثَرُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ؛ تَفْخِيمًا لِشَأْنِ الشَّهِيدِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ "هُوَ فِي أَعْلَى رُتَبِ الشَّهَادَةِ"⁽²⁾، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ يَشْهَدُ عَلَى أُمَّةٍ كَامِلَةٍ بِبُلُوغِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِمْ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَيَعْقُبُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ مَا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ، وَلَا النِّجَاةُ مِنْهُ، وَلَا مُعَاوَضَتُهُ كَمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

الشَّهَادَةُ عَلَى
الْأُمَمِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَظِيمَةٌ
الشَّانِ

دَلَالَةُ تَعْلِيْقِ الشَّهَادَةِ بِحَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى):

عَلَّقَ بَلِيغُ النَّظْمِ الشَّهِيدَ الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِشْعَارِ بِأَنَّ شَهَادَةَ الشَّهَدَاءِ عَلَى الْأُمَمِ تَكُونُ بِمَحْضَرِّ مِنْهُمْ⁽³⁾، وَذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَمَكُّنِ تِلْكَ الشَّهَادَةِ مِنْهُمْ، وَأَنَّ الرَّسُولَ الشَّهِيدَ فِي مَقَامٍ مَكِينٍ ثَمَّ، فَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِمْ هُنَاكَ مُؤَكَّدَةٌ بِالْفِعْلِ الْآثَرِ.

الشَّهَادَةُ عَلَيْهِمْ
مَكِينَةٌ، وَإِفَادَتُهَا
لَازِمَةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 250 / 14.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 232 / 11.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 135 / 5.

إقامة الحجّة
التامة على الأمم

قوة الشهادة في
نفسها مقدّمة
على نفي أسباب
ضعفها

البعث والمجيء
للشهادة كلاهما
حاصل يوم
القيامة

فائدة وصف الشهيد بكونه ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾:

وصف النظم الجليل (الشَّهيد) بكونه مِنْ الْأُمَّةِ نَفْسِهَا في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ للدلالة على أنه مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لأنَّ ذلك يَقْطَعُ مَعْذَرَتَهُمْ⁽¹⁾؛ لما فيه من إقامة الحجّة عليهم، فليس الشَّهيدُ الَّذِي يَشْهَدُ عليهم بمظنّة أن يكون ظالماً لهم، فهو من أنفسهم، فتكون أصدق شهادة وأوثقها، كما أنّ ذلك يُشِيرُ إلى أنّ الشَّهيدَ هو نبيُّهم الْمُرْسَلُ إليهم⁽²⁾.

يسرُّ تقديم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾:

جَمَعَ النّظْمُ الجليلُ بَيْنَ شِبْهَيِ الْجُمْلَةِ في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، مُقَدِّمًا شِبْهَ الْجُمْلَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ الاستعلاءَ على شبه الجملة المتضمنة بيان الجنس؛ لبيان قوّة الشهادة وتمكّنها منهم، ثمّ أعقبها بانتفاء سبيل الطعن فيها، وتقديم قوّة الشهادة أبلغ من ذكر انتفاء المطاعن عنها.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾:

الجملة في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ معطوفة بالواو على الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل ﴿نَبْعَثُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾⁽³⁾، فهي داخلة في حيّز الظرف⁽⁴⁾، فيكون المجيء والبعث كلاهما حادثين في ذلك اليوم. ويجوز أن تكون الجملة: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ معطوفة على مجموع جملة ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾، لأنّ المقصود: وجئنا بك شهيداً من وقت إرسالك، فلا تدخل حينئذٍ في حيّز الظرف.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 135/5.

(2) الزمخشري، الكشاف: 628/2.

(3) صافي، الجدول: 373/7.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 251/14.

دلالة التعبير بالمجيء فعلاً ماضياً:

آثر النظم الكريم التعبير بالفعل الماضي في قوله جل شأنه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾ للدلالة على تحقق وقوع المجيء المذكور⁽¹⁾، ويكون الماضي مستعملاً في معنى الاستقبال مجازاً؛ ليتحقق وقوعه، فشابه به ما حصل ومضى، فالتعبير عن المستقبل بالماضي يؤكد وقوع مضمون الكلام.

تَحَقُّقُ مَجِيءِ
الشَّهِيدِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

وعلى القول الثاني في الواو العاطفة، فإن لفظ الماضي في ﴿وَجِئْنَا﴾ على حقيقته، للإشارة إلى أنه مجيء حصل من يوم بعثته، فيكون المعنى: "وجئنا بك لما أرسلناك إلى أمّتك شهيداً عليهم؛ أي: مقدراً أن تكون شهيداً عليهم يوم القيامة؛ لأن النبي ﷺ لما كان حياً في آن نزول هذه الآية؛ كان شهيداً في الحال والاستقبال"⁽²⁾.

نكتة التعبير بضمير العظمة:

عبر النظم الجليل بالفعل المسند إلى ضمير العظمة في قوله جل شأنه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾؛ أي: مجيئاً جليلاً بما لنا من العظمة⁽³⁾، فالمجيء بالنبي ﷺ شهيداً بحيث لا يعارض كما عارضوا إرساله في الحياة الدنيا، فهو إحصار من الجليل بحيث تقام الحجة على الوجه الأبلغ والأتم.

عِظْمَةُ الْإِتْيَانِ
بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

علة عدم ذكر ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ مع شهادة الرسول:

لم يذكر النظم الجليل القيد بكون النبي ﷺ من أنفسهم في قوله جل شأنه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾؛ "لأنه مبعوث إلى جميع الأمم، وشهيد عليهم جميعاً، وأما وصفه بذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128]؛ فذلك وصف كاشف اقتضاه

بِعَثَةِ الرَّسُولِ
إِلَى النَّاسِ
جَمِيعًا،
وَشَهَادَتِهِ عَلَيْهِمْ
كُلِّهِمْ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 135 / 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 251 / 14.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 232 / 11.

مَقَامُ التَّذْكِيرِ لِلْمُخَاطَبِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ صَمَّوْا إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ
كُفْرَانِ نِعْمَةٍ بَعَثَ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ⁽¹⁾.

سِرُّ تَقْدِيمِ ﴿شَهِيدًا﴾ عَلَى قَوْلِهِ ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾:

تقديم الشهادة
يناسب موضوع
السياق

أورد النظم الجليل المفعول به ﴿شَهِيدًا﴾ مُقَدِّمًا على شبه الجملة
في قوله جلَّ شأنه: ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾، وقد أحرَّه في قوله تعالى:
﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]؛ لأنَّ السَّيَاقَ في سورة النحل في
موضوع الشهادة والإشهاد عليهم، فتقديم اللفظ المتعلق بموضوع
السياق أولى في بناء الجملة، كما أنَّ في تأخير المفعول به في سورة
النساء مناسبة لفظية أخرى، وهي مراعاة الفاصلة؛ اهتمامًا بالأثر
الصوتي في بنية النص.

دلالة عطف الجملة بالواو:

إرشاد النبي
ﷺ للمؤمنين،
وشهادته على
الكافرين

الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ﴾ معطوفة بالواو على الجملة في قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾؛ أي: "أرسلناك شهيدًا على المشركين، وأنزلنا
عليك القرآن لينتفع به المسلمون، فرسولُ الله ﷺ شهيدٌ على
المُكذِّبين ومُرشدٌ للمؤمنين، وهذا تخلصٌ للشروع في تعداد النعم
على المؤمنين من نعم الإرشاد، ونعم الجزاء على الامتثال، وبيان
بركات هذا الكتاب المنزَّل لهم"⁽²⁾.

سِرُّ استعمال صيغة (نَزَّل) دون (أَنزَلَ):

التعبير بكثرة
النزول مناسب
لنزول القرآن
مُتَجَمًّا

أثر النظم الكريم التعبير بالفعل المضعف (نَزَّل) دون (أَنزَلَ)
في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ لما فيه من دلالة على
التدرُّج والتَّجْجِيم⁽³⁾، وذلك لما في المضعف من دلالة على التَّكْثِيرِ،
فكثرة النزول تدلُّ على نزولٍ مُكرَّرٍ، وهذا معناه التَّجْجِيم في نزول

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 252 / 14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 252 / 14.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 233 / 11.

القرآن وتفريق نزوله على حَسَبِ الحَوَادِثِ وما تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ،
فَأَثَرَ الفِعْلِ (نَزَلَ)؛ لِأَنَّ بَيَانَ القرآنِ نَزَلَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، فَ(نَزَلَ)
يَقْتَضِي التَّفْرِيقَ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ إِسْنَادِ الفِعْلِ إِلَى ضَمِيرِ العِظَمَةِ:

أَسْنَدَ النِّظْمُ الجَلِيلُ الفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ العِظَمَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ:
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ أَي: أَنْزَلْنَاهُ بِمَا لَنَا مِنَ العِظَمَةِ⁽²⁾؛ وَذَلِكَ
لِأَنَّ إِنْزَالَ القرآنِ تَحَقُّقَ العِظَمَةِ مِنْ حَيْثُ الْمُنْزَلُ ﷺ، وَالْمُنْزَلُ الْكَرِيمُ
ذَاتُهُ، وَالْمُنْزَلُ عَلَيْهِ ﷺ، فَإِسْنَادُ الفِعْلِ إِلَى ضَمِيرِ العِظَمَةِ يُرَادُ بِهِ
تَعْظِيمُ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ.

تَعْظِيمُ شَأْنِ
إِنْزَالِ القرآنِ
الْكَرِيمِ

تَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ:

قَدَّمَ النِّظْمُ الجَلِيلُ شِبْهَ الجُمْلَةِ مِنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ
فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: وَنَزَّلْنَا الْكِتَابَ
عَلَيْكَ؛ لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ كَوْنِهِ شَاهِدًا عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا،
وَكَوْنِهِ هُوَ مَنْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ لِلْهُدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَالْأَهَمُّ فِي السِّيَاقِ
كَوْنُ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ أَنْتَ، وَلَيْسَ الْإِهْتِمَامُ مُنْجَهَا إِلَى بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الْمُنْزَلِ.

الاهْتِمَامُ بِالْمُنْزَلِ
إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابِ

دَلَالَةُ تَعْرِيفِ الْكِتَابِ بِاللَّامِ:

عَرَّفَ النِّظْمُ الجَلِيلُ الْكِتَابَ بِاللَّامِ الدَّالَّةِ عَلَى الْجِنْسِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ
شَأْنُهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِ هَذَا الْكِتَابِ وَتَفْخِيمًا
لَهُ؛ أَي: (أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ "الْكَامِلَ فِي الْكِتَابِيَّةِ الْحَقِيقِ بِأَنْ يُخَصَّ بِاسْمِ
الْجِنْسِ")⁽³⁾، فَلِكَوْنِهِ الْكِتَابَ الْمَهِيمَ عَلَى الْكِتَابِ السَّابِقَةِ صَارَ جَدِيرًا
بِأَنْ يُوَصَّفَ الْمُنْزَلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِجِنْسِ الْكِتَابِ كُلِّهِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
اللَّامُ لِلْعَهْدِ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكِتَابِ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ⁽⁴⁾.

تَعْظِيمُ شَأْنِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 42/3.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 233/11.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 135/5.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 253/14.

كمال البيان القرآني وجلالته

إثناز لفظ ﴿تَبَيَّنَّا﴾ دون (بَيَّانًا):

آثر النظم الكريم التعبير بالمصدر ﴿تَبَيَّنَّا﴾ دون (بَيَّانًا) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لما فيه من المبالغة؛ أي: بيّانًا بليغًا⁽¹⁾، وذلك أنّ الكتاب الموصوفَ بكونه جنس الكتاب لا بدّ أن يكون بليغًا في التبيان؛ أي: أنزلناه لأجل البيان على الوجه الأتم والأكمل⁽²⁾، وهو مصدرٌ "من المصادر التي بُنيت على هذه الصيغة؛ لتكثير الفعل والمبالغة فيه؛ أي: تبَيَّنَّا لكل علم نافع من خبرٍ ما سبق وعلم ما سيأتي، وكلّ حلالٍ وحرام، وما الناس محتاجون إليه في أمر دُنياهم ودينهم ومعاشهم ومَعَادِهِمْ"⁽³⁾.

دلالة اللام في قوله: ﴿لِكُلِّ﴾:

أدخل النظم الجليل حرف الجرّ (اللام) في قوله جلّ شأنه: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ للدلالة على أنّ التبيين واقع على كل شيء، فشبهه الجملة مُتعلِّقَةٌ بالتبيان، واللام هي لام التقوية؛ لأنّ عبارة (كل شيء) هي في معنى المفعول به لـ (التبيان)⁽⁴⁾، فلمّا كان المبيّن هو كل شيء كان في معنى المفعول به، فجاء باللام تقويةً لهذه النسبة.

دلالة التعبير بلفظ ﴿لِكُلِّ﴾، وفائدة إضافته إلى ﴿شَيْءٍ﴾:

عبّر النظم الجليل بلفظ ﴿لِكُلِّ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ للدلالة على عموم البيان، فهو يبيّن كل ما يتعلّق بالدين، ومن ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم ﷺ، فيكون بمنزلة الدليل على كونه ﷺ شهيداً عليهم⁽⁵⁾، وإضافته إلى لفظ ﴿شَيْءٍ﴾؛ للدلالة على تأكيد

كل ما يحتاج إليه من أمور الدين مبين حكمه في القرآن الكريم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 135 / 5.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 233 / 11.

(3) القاسمي، محاسن التأويل: 402 / 6.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 254 / 14.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 135 / 5.

التعميم، فيشمل ما وردَ من أسئلتهم ووقائعهم وغيرها⁽¹⁾، والعموم المراد بـ (كل) عمومٌ مُقيّدٌ بالعرف، فهو عمومٌ عرفي المقصود به ما يجيء به الدين أو تردُّ به الشرائع⁽²⁾، فهو يشمل ما هو ضروري، ويحتاج إليه في "الشرع، ولا بدّ منه في الملة، كالحلال والحرام، والدعاء إلى الله، والتخويف من عذابه"⁽³⁾.

دلالة عطف الهدى والرحمة والبشرى على التبيان:

عطف النظم الجليل الهدى والرحمة والبشرى في قوله جلّ شأنه: ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ على التبيان في قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لبيان المقصود من ذلك التبيان وتقييده، فلما "كان التبيان قد يكون للضلال قال تعالى: ﴿وَهْدَىٰ﴾؛ أي: موصلاً إلى المقصود، ولما كان ذلك قد لا يكون على سبيل الإكرام؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾، ولما كان الإكرام قد لا يكون بما هو في أعلى طبقات السرور؛ قال سبحانه: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾؛ أي: بشارَةً عظيمةً جداً"⁽⁴⁾، فالعطف جيء به لتخصيص عموم التبيان وتقييده بكونه للهدى والرحمة والبشارة، فالمدكورات بعده وجودهن مؤسّس عليه، وهنّ مقيداتٌ له.

علة ترتيب المعاني الوافية الكتاب:

رتّب النظم الجليل أوصاف القرآن الكريم في قوله جلّ شأنه: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ ترتيباً بحسب الوجود، فهو ترقُّ من السبب الأدنى إلى الغاية العليا، فلم يكن سردها كيفما اتفق، أو حشراً وحشداً بلا سبب، فالنظم البليغ منزه عن ذلك كلّهِ، ووراء كلّ شيءٍ علةٌ، فذكر التبيان أولاً؛ لأنه أساس الهداية، فهو يحقّق الهدى، والهدى يحقّق الرحمة، ويكون سبباً موجباً لها،

تقييدُ التبيان
وتخصيصه

الترقي في ذكر
الأوصاف من
لطيف بلاغة
النظم للعجز

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 233.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 253.

(3) ابن عطية، للحزر الوجيز: 3 / 415.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 235.

والرَّحْمَةُ من لوازمها ونهاياتها البشارةُ بِحُسْنِ الختامِ وحُسْنِ المآلِ، فكان التَّدْرُجُ بحسبِ الأسبقِيَّةِ، فكلُّ مذكورٍ يُحقِّقُ ما بعده.

دلالة لَامِ الجَرِّ، وعلة اختصاصهم ببركات الكتاب:

أدخل النَّظْمُ الجليلُ لَامَ الجَرِّ الدَّالَّةَ على التَّخصيصِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾؛ للدلالة على اختصاص الهداية والرَّحمة والبشارة الكائنة من هذا الكتاب بالمُسْلِمِينَ دون غيرهم؛ وإنَّما خَصَّ المُسْلِمِينَ بذلك؛ لأنَّهم هُمُ الْمُتَنَفِعُونَ به دون سِوَاهُمْ مِنَ الْمُعْرِضِينَ والكافرين⁽¹⁾.

❁ الفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

البعث والإرسال:

البعثُ كالإرسال، لكنَّه أعمُّ منه؛ لأنَّه "يجوزُ أن يبعثَ الرَّجُلُ إلى الآخرِ لحاجةٍ تخصُّهُ دونَكَ ودون المبعوثِ إليه، كالصَّبِيِّ تبعثُهُ إلى المَكْتَبِ، فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأنَّ الإرسالَ لا يَكُونُ إلَّا برسالةٍ وما يجري مجراها"⁽²⁾، فالإرسالُ مُختَصٌّ بوجود رسالةٍ، وأمَّا البعثُ فهو أعمُّ؛ إذ لا يَقتَضِي وجودَ رسالةٍ.

والأظهرُ في الفرقِ بينهما ما ذَكَرَهُ ابنُ الزُّبَيْرِ الغرناطيُّ من أنَّ الفعلَ (أرسلَ) أخَصُّ في بابِ الإرسالِ مِنَ البعثِ؛ "إذ لا يُقالُ: أرسلَ، إلَّا فيما كانَ تَوجِيهًا، فيه معنى الانتقالِ حَقِيقَةً أو مَجَازًا، أمَّا (بَعَثَ) فأوسعُ؛ فإنَّه يَقَعُ بمعنى الإرسالِ، وبمعنى الإحياءِ، ومنه: البعثُ الأخرائيُّ"⁽³⁾.

وفي الآيةِ أثرُ النَّظْمِ الجليلِ التَّعبيرِ بالبعثِ، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾؛ لكونِ البعثِ أكثرَ معاني مِنَ الإرسالِ.

انْتِفَاعُ أَهْلِ
الإسلامِ بالقرآنِ
الكَرِيمِ دُونَ مَنْ
عَدَاهُمْ

الإرسالُ يَقتَضِي
الرَّسالةَ،
والبعثُ
لِلشَّهادَةِ أعمُّ
مِنَ الإرسالِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 136 / 5.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 289.

(3) الغرناطي، ملاك التأويل: 216 / 1.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 27، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-24-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 27: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-24-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»